إعجاز القرآن اللغوي ، و أثره في الدرس النحوي

The miracle of the Holy Qur'an and its impact on the grammarlesson.

بوعافية الجيلالي[1]

[1] جامعة تلمسان (الجزائر)، الإيميل المهني: djilali.bouafia@univ-tlemcen.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/20	تاريخ القبول:2024/05/30	تاريخ النشر:2024/06/13

ملخص: يعالج هذا المقال جانبا من جوانب إعجاز القرآن الكريم اللغوي ، والذي يكمن في التأثيرات والتغييرات التي أحدثها في اللغة العربية بصفة عامة ، وفي الدرس النحوي بصفة خاصة؛ وقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نظهر بعض هذه التأثيرات التي عرفتها اللغة العربية، وعرفها الدرس النحوي حتى نضج واستقل علما قائما بذاته

الكلمات المفتاحية : الإعجاز - القرآن الكريم - اللغة العربية -الدرس النحوي - التغييرات والتأثيرات.

Abstract:

This research aims to address one aspect of the Holy Qur'an, and the effectsit has had on the Arabiclanguage in general, and on the grammatical lesson in particular.

Throughthisresearch, we have tried to show some of these influences that the Arabiclanguage and the grammatical lessonknewuntilitbecame an independent science in itsown right.

Keywords: miracle - the Holy Qur'an - the Arabiclanguage - grammarlesson - changes and influences.

1 -مقدمة:

لقد غير ظهور الإسلام حياة العرب تغييرا تاما وبيّنا وأصبح القرآن الكريم دستور حياتهم؛ "ففيه دليل العبادات والمعاملات وآداب السلوك وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض، وجماعات الأمّة الإسلاميّة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فهو مُوثَّق بكل تفاصيله بدءا بمخارج حروفه، إلى علامات إعرابه، إلى ألفاظ كلماته، إلى تراكيب جمله، إلى أماكن الوقف في خلال هذه الجمل وفي نهايتها".(تمام حسان، الأصول –دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب،1420هـ، ص23).

ولما كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، فلقد كان ولا يزال وسيظل في نفوس المسلمين من الاحترام، وفي ضمائرهم من التقديس، وفي قلوبهم من الحرص على نصّه، ما لا يمكن لأيّ كان الزيادة عليه، ولعلّ ذلك راجع إلى تسخير الله إيّاهم لتحقيق وعده، بحفظه،وصونه من النسيان، والتحريف كما جاء في قوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون} سورة الحجر، الآية 09.(تمام حسان، الأصول –دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب،1420ه، ص23)، وقد عمل النبيّ ﷺ،وأصحابه رضي الله عنهم منذ البداية على الاعتناء بالقرآن الكريم تحقيقا لوعده جلّ جلاله.

ومن أجل ذلك كلّه كانت الحاجة ماسّة إلى إنشاء علم يعرف به خطأ الكلام من صوابه ليحافظ على بناء اللغة العربية التي أُنزل بها القرآن الكريم، ذلك العلم هو علم النحو.

وبالتالي نضمن سلامة القرآن بضمان سلامة اللغة العربية، ويتحقق وعد الله عزّ وجلّ.

2-تعريف النحو:

يُستحسَن بنا قبل أن نتطرّق إلى الموضوع أن نتعرّض إلى تعريف النّحو لغة واصطلاحا.

أما **لغة:** فقد جاء في معجم العين مادة (نحو): النَّحْوُ القَصدُ، نَحوُ الشّيءِ، نحَوْتُ نحْوَهُ: أي قَصَدْتُ قَصْدَهُ. وبلغنا أنّ أبا الأسْوَد وضع وجوه العربية فقال للنّاس آنحوا نَحْو هذا فسُميّ نحوا". (الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص302).

وورَد في لسان العرب: (نحا) بمعنى النَّحْوُ: وهو إعراب الكلام العربي، والنَّحْوُ القَصْدُ والطريق يكون ظرفا واسما، نحاه ينْحُوه نحوا وانتحاه، يقول الجوهري نحوْتُ نحوك أي قصدت قصدك، وعند ابن السكيت نحا نحوه إذا قصده، ونحا الشيءَ ينحاه وينحوه إذا حرّفه، ومنه سُميّ النحويّ لأنّه يُحرّف الكلام إلى وجوه الإعراب". (ابن منظور، لسان العرب، 1414ه، ص310).

فالجامع في هذه التعريفات وغيرها هو أنّ المعنى الأعمَّ للنّحو لغةً هو القصد، ويكون الأقرب للمعنى الاصطلاحي.

وأمّا **اصطلاحا:** فلعلّ أهمّ تعريف له ما أورده أبو الفتح ابن جنّي (392ه) في كتابه الخصائص"، إذ يقول: "النّحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنّسب، والتركيب وغير ذلك، ليلتحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم رُدَّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع، أي: نحوت نحوا، كقولك قصدت قصدا، ثم خُصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم. (ابن جني، الخصائص، ص34).

فمن خلال هذه التعريفات ندرك أن حقيقة (النَّحْوِ) هي محاكاة العرب في طرق كلامها، وهو الهدف المنشود من إنشاء هذا العلم ودراسته.

3- القرآن الكريم سببٌ في نشأة النّحو العربيّ:

ارتبطت نشأة النحو العربي ارتباطا وثيقا بالدّين الإسلاميّ وبالضّبط بالقرآن الكريم، وقد وأوجبت هذه العلاقة بين القرآن والنّحو العربيّ على كلّ من يريد أن يقرأ القرآن الكريم أن يُتقن العربية وأساليبها اتقانا جيدا يأمن من خلاله – الإتقان – العترة في أداء النّصّ القرآنيّ أداءً صحيحا سليما وناهيك عن الفهم، وكان انتشار اللّحن وذيوعه بسبب اختلاط العرب بالأعاجم ودخولهم في الدّين الإسلاميّ أدّى إلى فساد في اللغة وتفريط في صيانة الدّين، إذ كانت سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم. (سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص10).

إذن إنّ الدافع الأساسيّ لوضع علم العربية (النّحو) هو درء اللّحن عن النّصّ القرآنيّ، والمسلمون مندوبون إلى فهم القرآن ووعي تعاليمه فإذا فسدت لغته في ألسنتهم، اختلّ ميزان الفهم في عقولهم ونتج عن ذلك تحريف لكلام الله

تعالى عن مواضعه، لأنّ أيّ خطأ في الإعراب ينجم عنه خطأٌ في الفهم، وشاهدنا في ذلك العديد من القصص المشهورة التي رويت في الكتب؛ منها: ما روي أن أعرابيا قدم المدينة يَطلب أن يُقرأ القرآن، فأقرأه بعضهم: {إن الله بريء من المشركين ورسوله} بكسر اللام عطفا على المشركين، فقال الأعرابيّ: إن يكن الله بريئا من رسوله، فأنا أبرأ منه أيضا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ، فأمر ألا يُقرِئ القرآن إلاّ عالم باللغة".(محمد خير الحلواني، المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه، ص34).

وفي هذا يقول الإمام السيّوطي (911ه): "واعلم أنّ أوّل ما اختل من كلام العرب وأحوجّ إلى التّعلم الإعراب، لأنّ اللّحن ظهر في كلام الموالي والمعرّبين من عهد النبي الكريم، إذ لحن رجل بحضرته فقال عليه الصلاة والسلام: "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ" (السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص396)، ولم يقف السّيوطي عند هذا الأمر بل يُقرّ بأنّ اللّحن كان سائدا، فيقول: "وقد كان اللّحن معروفا بل قد روينا من لفظ النبي ﷺ أنه قال: "أنا من قريش ونشأت في بني سعد، فأنىّ لي اللّحن. وكتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فلحن، فكتب إليه عمر: أن اضرب كاتبك سوطا واحدا". (السيوطي ،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص397).

وقد كان هذا الأمر – اللّحن – سببا مقنعا ليخاف سلفنا الصالح على النّص القرآنيّ من الخطأ واللّحن، فانبروا ساعين إلى حفظ هذا الكتاب الإلهيّ المقدّس من فساد اللغة واعوجاج الألسُن فكانت أوّل مبادرة تصب في هذا الباب، ما قام به الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ، الذي أمر ثِقات الحُفّاظ من أصحاب الرّسول (ﷺ) المتبقّين من حروب الردّة بجمع ما تفرّق من الصُّحف والعظام واللّحاف وسَعَف النّخيل عند المسلمين حين سمِع أنّ القرّاء يفاضلون بين القراءات، فاستكتبهم مصحفا باسمه ونُسب إليه، فوزّع ستًّا من نسخه على الأمصار وأبطل ما عداه مما كان في أيدي النّاس، فكان بذلك أوّل أثر من آثار العامل الدّينيّ في ثقافة العرب وفي نشأة نحونا العربي فيما بعد. (تمام حسان، الأصول –دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب،1420ه، ص24).

وإذا كان ما قام به سيّدُنا عثمان ﷺ قد حقّق فائدة الانسجام في القراءات القرآنية المتعدّدة معه فتصلح له ويصلح لها، إلاّ أنّ الأمر لم يخل من صعوبات أخرى تركّزت في كون خط مصحف عثمان كان لا يعرف نقطا ولا شكلا؛ ومعنى هذا أنّه لم يكن بمأمن من أيّ تحريف أو تصحيف؛ فمثلا: إنّ رسما خطيّا مثل (ضرب) يمكن قراءته على صور عديدة نحو: ضَرَبَ، ضُرِبَ، ضَرْبٌ، ضِرْب، ضَرْب، إلخ... لهذا بقيت المحافظة على النّص بالاعتماد على تواتر الرواية بالسّند الصّحيح عن النّبي (ﷺ) ،وباستظهار المسلمين لهذا النّص منذ أيام الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وقد شاع اللّحن في القرآن كثيرا حتىّ وصل إلى درجة الشرك بالله فقد رُوي أنّ سابقا الأعمى كان يقرأ (الخالق البارئ المصور) الحشر – 24 – بفتح الواو بدل كسرها، وإذا لقيه ابن جابان يقول له يا سابق: ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه. (الجاحظ، البيان والتبيين، ص219).

إنّ هذا الخلل أو هذا الأمر الخطير الذي بدأ ينتشر في كتاب الله عزّ وجلّ هو السبب المباشر والرئيسي في وضع علم النحو ونشأته يقول ابن خلدون: "وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بما يتعلق به القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر الكلام". (ط. الحلبي، مقدمة ابن خلدون، ص294).

وهذا ما أشار إليه الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين حيث يقول: "ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل النّاس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسلا،

واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه الإعراب الذي هو حليّها والموضح لمعانيها، فتفطّن لذلك من نافر بطباعه سوء إفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظُم الإشفاق من فُشُوّ ذلك وغلبته حتىّ دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن نسبوا الأنساب في تقييدها من ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه". (الزبيدي، طبقات النحويين، ص 11).

فالخوف على القرآن الكريم من التحريف والزّلل كان من أهمّ العوامل التي جعلت العلماء يشمّرون عن ساعد الجد ويعملون على وضع النحو والإسراع في ضبط قوانينه.

4-القرآن يُهذّب اللغة العربية:

بالإضافة إلى كون القرآن الكريم كان سببا قويا في بعث حركة العلم والتأليف في شتى العلوم ومنها علوم العربية، فقد منح هذه اللغة قوّة ورقيّا، ما كانت لتصل إليه لولاه، وأضاف إليها من المعاني العالية والرفيعة فأصبحت بذلك محطّ جميع الأنظار، وفي هذا يقول الرافعي رحمه الله: "نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا، فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة، وإنمّا يتجزّأ باعتباره لا يخرج من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض وإنمّا كان ذلك، لأنّه صفّى اللّغة من أكدارها، وأجراها في ظاهره على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب..." إلى أن يقول: "..... وقد أظهرها مظهرا لا ينقضي العجب منه لأنّه جلاّها على التاريخ كلّه لا على جيل بخاصّته ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنّها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيحٌ ولا قيصومٌ". (الرافعي، تاريخ آداب العرب، 1974، ص74)*.

فالمضطّلع على آداب العرب في جاهليتهم لابدّ أن يلاحظ أثر البيئة الصحراويّة القّاسية وما تتميّز به من جفاف وصعوبة على لغة الإنسان العربيّ البدويّ الضّارب في الصّحراء.

وهذا ممّا نلمسه في الكثير مما رُوي لنا من كلام الجاهليين من استعمالهم للألفاظ الحوشية والغريبة القليلة الاستعمال والتداول من مثل قولهم، جحيش، مستشزرات، جحلنجع، تكأكأ.... إلخ.

فالقرآن الكريم كما نعلم هذّب الألفاظ العربية وأبعدها عن كلّ لفظ فيه جفاء أو غلظة، وطبع ألفاظها بالعذوبة والسلاسة.

5-القرآن يُوحّد لهجات القبائل العربية (اللغة العربية):

استنقذ القرآن الكريم بعد نزوله العرب من شتات اللهجات واختلافها، ووحّدها وأزال تنافرها، واستبعد الغريب منها والرديء والمستكره، الذي كان بطبيعة تفرّقهم والبيئة التي يعيشون فيها.

فنزل بلسان أفصح القبائل "نزل بلسان قريش، ورسول الله ﷺ أفصح العرب وهو من قريش، وقريش من ولد إسماعيل، وولد إسماعيل أفصح من اليمن الذين هم ولد يعرب بن قحطان". (عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص13).

*- الشيح والقيصوم: نباتان من نباتات البادية، يضرب بهما المثل؛ فيقال فلان يمضغ الشيح والقيصوم، إذا كان عربيا خالص البداوة.

وفي ذلك يقول السيّوطي: "... لأنّ كلام قريش سهل واضح، وكلام العرب وحشي غريب". (السيوطي، الإتقان، ص416).

وقد قال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش، فإنّه نزل بلسانهم ففعلوا". (السيوطي، الإتقان، ص59).

وما فعله بعد ذلك عثمان ﷺ من إرساله إلى كلّ ناحية من البلاد العربيّة والإسلاميّة بمصحف من المصاحف التي كتبت بلسان قريش، دليل توحّد الأمّة على لغة واحدة وهي لهجة قريش.

لذلك أقبلوا على القرآن الكريم يستمعون إليه فقالوا عنه "إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه".

ولمّا كان الإسلام لا تقام شعائره ولا تعاليمه إلا باللغة التي نزل بها، بات حتما على كلّ مسلم مهما كانت جنسيته دخل هذا الدّين أن يُؤدّي هذه التعاليم باللغة العربية الأمر الذّي جعل كلّ من دخل الإسلام أن يتعلم العربية لغة القرآن الكريم.

6- القرآن وقراءاته مصدر من مصادر التقعيد:

كانت القبائل العربية المتناثرة في جزيرة العرب ومن حولها تتحدّث العربيّة بلهجات شتّى؛ ولما نزل القرآن الكريم، كانت كثير من القبائل تجد حرجا في النطق على غير لغتها وهي مضطرّة – في دينها على الأقل – أن تقرأ القرآن الكريم، فسمح الرّسول الكريم لكلّ ذي لهجة أن يقرأ القرآن وفقا لما جرت به عادته في النطق بها، وفي هذا المعنى يقول السيّوطي (ت911ه): "أُنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب".(السيوطي الاتقان، ص47)

وكان هذا الخلاف في اللهجات التي قرئ بها القرآن شيئا عظيما تولّد عنه ما عرف فيما بعد عند الدارسين للنّص القرآني بالقراءات السبع المتواترة عن الرسول (ﷺ) والقراءات العشر والأربعة عشر. (السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص14).

ووضع العلماء لقبول قراءة أو ردّها شروطا قالوا: كلّ قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانيّة ولو تقديرا، ووافقت العربية ولو بوجه، وصحّ إسنادها، فهي القراءة الصحيحة. (محمد عبد السلام كفافي، عبد الله الشريف، علوم القرآن، ص105).

والقرآن الكريم يتمتّع بمكانة غاية في الفصاحة والبلاغة، فلا يمتري أحد في أنّه بالغ في الفصاحة وحسن البيان والذِروةَ، وقراءاته المتواترة الصحيحة كلّها حُجّة في اللّغة، فقد نقل سعيد الأفغاني عن ابن جني رأيه في القراءات الشاذّة يقول: "فقراءات القرآن جميعها حُجّة في العربية متواترها وآحادها وشاذّها". (سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص45)

لذا لا نجد عجبا في أن يكون القرآن الكريم وقراءاته مصدرا كبيرا للغة العربية من حيث ألفاظها وصرفها ونحوها، لأنّ قداسته التي لا مجال للشك فيها تعطي لمصدريّته صفة السّلامة الرّاسخة والصّحّة الثّابتة المطّردة ولا غرو في ذلك، فما ورد في القرآن هو أصحّ ما استعمله العرب من أساليب وألفاظ كانت أصحّ مصدر لعلماء اللغة. (أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص255).

وهذا ما يُفسّر لنا اعتماد علماء اللغة عامّة والنّحاة خاصّة الاعتماد المطلق على القرآن الكريم في تثبيت قواعدهم وبنائها، لإيمانهم الرّاسخ بأنّ القرآن أفصح كلام في الوجود، وأنّه من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} سورة فصلت، الآية 42.

فكان هذا كفيلا بأن يجعل هؤلاء العلماء يلتفّون حول آياته ويتّخذون منه أدلّة قاطعة على ما يقولون.

فالقاعدة النحويّة التي كانت تُدعَم بدليل قرآنيّ كان يكسبها هذا الدليل صفة القطعيّة والثبوت، وهي الصفة التي لا يمكن لأحد أن يجادل فيها، أو يُبدي رأيه الشخصي، إلا بمقدار ما تحتوي عليه الآية من دلائل ووجوه تحتمل تعدّد الآراء اللغوية وتشعيب القواعد النحويّة. (أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص256).

ومن أجل هذا كان القرآن أوّل مصادر الفكر اللغويّ وأعظمها وأدقّها على الإطلاق وفي ذلك يقول مهدي المخزومي "وهو أصدق مرجع وأصحّ مصدر يرجع إليه النّحاة في تقنين القوانين واستخراج الأصول". (مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص51)

ففي كتاب الإنصاف للأنباري ما يدلّ على ذلك ونسوق منها بعض الأمثلة:

مسألة جواز تقديم خبر ليس عليها أو عدمه، فقد "ذهب البصريون إلى أنّه يجوز تقديم خبر ليس عليها واحتجوا بأن قالوا الدليل على جواز تقديم خبرها عليها قوله تعالى: {ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم} سورة هود، الآية 08، وجه الدليل من هذه الآية أنّه قدّم معمول خبر ليس على ليس، فإنّ قوله {يوم يأتيهم} يتعلق بمصروف وقد قدّمه على ليس، ولو لم يجز تقديم خبر ليس على ليس لما جاز تقديم معمول خبر ليس عليها، لأنّ المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل".(الأنباري، الإنصاف، ج1، ص162).

من ذلك أيضا قولهم: "ودليلنا في ذلك أنّ (ذلك) وقع في كتاب الله". (الأنباري ،الإنصاف، ج2، ص463-464).

وفي مسألة هل يجوز العطف على ضمير الخفض، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز العطف على ضمير الخفض دون إعادة الخافض، واحتجوا بأن قالوا الدليل على أنّه يجوز أنّه قد جاء ذلك في التنزيل وكلام العرب، قال تعالى: {واتقوا الله الذي تسّاؤلون به و الأرحام} سورة النساء، الآية 01، بالخفض وهي قراءة أحد القرّاء السبعة – وهو حمزة الزيات – وقال تعالى: {ويستفتونك في النّساء قل الله يفتيكم فيهنّ وما يُتلى عليكم} سورة النساء، الآية 126، فـ (ما): في موضع خفض لأنّه عطف على الضمير المخفوض في (فيهنّ) وقال تعالى: {وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين} سورة الحجر، الآية 20، فمن: في موضع خفض بالعطف على الضمير المخفوض في (لكم) فدلّ على جوازه. (الأنباري ،الإنصاف، ج2، ص463-464).

وفي كتاب سيبويه من هذا الكثير، يقول في: "باب ما يُضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي" ويجوز أن تقول مكة والله، على قولك: أريد مكة والله، كأنّك أخبرت بهذه الصفة عنه أنّه كان فيها أمسِ، فقلت: مكة والله، أي أراد مكة إذ ذلك، ومن ذلك قوله عز وجل: {بل ملّة إبراهيم حنيفا} سورة البقرة، الآية 134، أي بل نتّبع ملّة إبراهيم حنيفا، كأنّه قيل لهم اتّبعوا حين قيل لهم {كونوا هودا أو نصارى} سورة البقرة، الآية 134. (سيبويه ،الكتاب ، ج1، 257)

وقال أيضا في (باب ما يكون محمولا على إن فيشاركه فيه الاسم الذّي وليها ويكون محمولا على الابتداء) فأمّا ما حمل على الابتداء فقولك: إنّ زيدا ظريف وعمرو، وإنّ زيدا منطلق وسعيد"، فعمرو وسعيد يرتفعان على وجهين، فأحد الوجهين حسن والآخر ضعيف.

فأمّا الوجه الحسن فأن يكون محمولا على الابتداء، لأنّ معنى إنّ زيدا منطلق: زيد منطلق، وإنّ دخلت توكيدا، كأنّه قال: زيد منطلق وعمرو، وفي القرآن مثله: {إن الله بريء من المشركين ورسوله} سورة التوبة، الآية 03. (سيبويه،الكتاب ، ج2، 144).

ولم يقفوا عند الحد في التعامل مع القرآن الكريم بل حين تُقلّب مثلا كتاب سيبويه وهو أعظم ما ألّف في قواعد اللغة العربية؛نجد أنّه كان مراعيا لجانب العقيدة الإسلامية متحرّزا فيها، فهو يقول في باب "ما ينتصب على المدح والتعظيم" وليس كلّ شيء من الكلام يكون تعظيما لله عزّ وجلّ يكون تعظيما لغيره من المخلوقات، لو قلت "الحمد لزيد" تريد العظمة لم يجز وكان عظيما". (سيبويه ،الكتاب،ج1، ص69).

لهذا نقول: إنّ القرآن الكريم كان أهمّ المصادر التي استسقى منها علماء العربية والنّحاة الأوائل، ولولا القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمّت له السيطرة فيما بعد على كل علوم العربية وآدابها. (عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص45)

7-القرآن يغني ويثري اللغة العربية:

كما غيّر نزول القرآن الكريم حياة العرب من جهل العقيدة إلى نورها ومن جور الأديان إلى عدلها وخشونة القلوب إلى رقّتها. فقد تغيّرت كذلك لغتهم وقوانينها فنقلهم من الفصيح إلى الأفصح،ومن الجيّد إلى الأجود ومن الحوشي إلى العذب السلس.

وأدخل القرآن الكريم في لغتهم معاني لم يعرفوها من قبل وجاءهم بألفاظ لم يعهدوها؛كالإسلام ،والإيمان ،والفرقان، والشّرك ،والكفر ،والنّفاق ،والصّوم ،والصّلاة ،والزّكاة....

كما سيطر القرآن الكريم على الملكات الأدبيّة وموضوعاتها فمنها ما هو مقتبس من القرآن وبعضها يصطبغ بصبغته وينسج على منواله، ومنها ما هو جديد كموضوع التصوف والزهد ومنه ما دخله التجديد، وظهرت فيه قيم جديدة كثيرة وعقلية واجتماعية وإنسانية مستقاة من القرآن بحس مرهف وتقديس طاهر. (عبد الخالق عضيمة، دراسات الأسلوب القرآني، 1373ص).

8-خاتمة:

إنّ كلّ دراسة قامت لدى العرب في العصور الإسلامية الأولى إنمّا قامت لأجل القرآن، والقرآن عربية، والعربية لا تقف عند حدّ لذلك صعب فهم القرآن إلا بالتماس وجوه النحو فيه، ومن هنا وضعت القواعد والقوانين والهدف هو خدمة النص القرآني.

وبعد أن استقرّ للعربية قرارها في كتاب سيبويه جاء التطبيق في كتب غيرها، فألفوا في الشعر والأمثال كما أفردوا للقرآن تصانيف تعددت محاورها ومطالبها من تفسير إلى قراءات إلى بيان مجاز وألفت تفاسير لغوية حملت اسم معاني القرآن وأخرى إعراب القرآن إلى غير ذلك من المؤلفات والتصانيف التي تزخر بها المكتبة العربية.

إذن كان هذا الباعث الدّينيّ حافزا قويا جعل النحو يسير نحو التطور حتّى نضج واستقلّ علما قائما برأسه، نضج في مساجد البصرة، وتلاحق مريدو النحو إلى شيوخ هذه البلدة في تلك الفترة يأخذون عنهم حتى إذا تمكنوا منه نشروه في جميع البلاد الإسلامية قاطبة فبرز في كل ناحية أقطاب حملوا لواء هذا العلم وبلّغوه لغيرهم.

9-قائمة المصادروالمراجع:

-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م..
-الأصول – دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، علم الكتب، 1420هـ
-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية،2003.
.-البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، دار مكتبة الهلال، بيروت،1423هـ.
-تاريخ آداب العرب، الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1974م.
-الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، د-ط، د-ت،
-دراسات في أسلوب القرآن، عبد الخالق عضيمة، ط1، 1373هـ، مكة المكرمة..
-السبعة في القراءات ،أبو بكر بن مجاهد،.تح: شوقي ضيف،دار المعارف ، مصر،ط2، 1400هـ.
-ضحى الإسلام، أحمد أمين،مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط1، 1933م.
-طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي.تح: محمد أبو الفضل ،ط1 ، 1954م.
-في أصول النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت..
-في علوم القرآن ، لمحمد عبد السلام كفافي، وعبد الله الشريف.
-القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم ،دار المعارف، القاهرة.
-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار مكية الهلال،
-كتاب سيبويه ،تح: عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت،ط1.،1999م.
-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1414هـ، .
-مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي.
-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح: محمد جاد المولى بك،ومحمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت،1986م..
-المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه، محمد خير الحلواني.،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط1، 1979م.
-مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون، تح: كارتمير،مكتبة لبنان، علي مولا، عن طبعة باريس ، 1858م.